في شعر الصنوبري

العقل والقلب والخيال مصادر هذا الشعر العربيّ منذ بداية نشأته إلى يومنا هذا ، والحياة والجمال والكون وسحره وفتونه مجالاته ومجاليه . . جرى فيها الشعراء أشواطاً بعيدة ، وذهبوا فيها مذاهب عزيزة من التنويع والافتنان الرائع والتصرف البارع ، وقُلْ ما شاء لك الحق والصدق في عرائس القصائد والمقاطع التي جلوها على منصّات الفن والإبداع صوراً أخّاذة تستولي على مجامع الأفئدة ، فلن تجد منكراً عليك إلا شعوبياً دَغِلَ القلب ، مبدياً صفحته البغيضة للعرب : يحاربهم في العلن أو الخفاء بحسب الأحوال ، ويحاول النيل بلسانه من جملة خصائصهم ولغتهم ودينهم وأدبهم وعلمهم وفنهم وحضارتهم ما وجد إلى ذلك سبيلاً ؛ وإلا تابعاً إمَّعَة يسمع من مثله ، وتحبله حبائله فيردّد صداه ، ويقول ما قال له كما تقول الببغاء من غير وعي سليم .

وأنت قد تسمع من هؤلاء اتهاماً لبلاغة العرب بالقصور والتخلف عن مذاهب بلاغات الأمم في الآداب عامةً ، والشعرِ خاصةً ، ولا سيما أوصاف الطبيعة في هذا الشعر . ومؤدّى هذا اتهام العرب عامةً بالعي والعجز في أسمى ما عُرفوا به من بلاغة اللسان وجمال الوصف ، وبضعف الإحساس بجمال الكون والحياة . وتلك شنشنة قديمة عرفناها من (أخزم) ، ولا مفرّ لنا من مقاومتها بالعمل الدائب على إبراز محاسن أدبنا ، شعره ونثره ، على اختلاف الفنون وتنوع الألوان .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ولو أن هؤلاء تقصَّوا دواوين العرب ـ وأنَّى للعجزة أن يقتحموا هذا اليَمَّ الزخّار ؟ ـ وكانوا طلاب حق ، لقام لهم بها الدليل كفلق الصبح الساطع وعموده المستطيل على بطلان رأيهم الفائل المدخول ، وإنما يفعل مثل هذا من يلتمس الحق وكانت النَّصَفَةُ سبيله إليه .

ومن هنا حمدت الباحث الفاضل الأديب (فواز أحمد طوقان) على توفره على دراسته « وصفَ الطبيعة في شعر الصنوبري » ، وإتباعه لها بجملة صالحة من نماذجه (١) في ذلك .. يلوح على أَسِرَّتها رُواء الجمال ، ويتراقص على أعطافها السحر والفتون .

والصنوبري (٢) هو واحد من كبار المَعْنيِّين من شعراء العربية بأوصاف الطبيعة خاصةً . جعل وُكْدَه في أكثر شعره ، والجمالُ يحتضنه في بيأته الشامية أنّى توجه ، التغنّيَ بالكون وفتونه : أرضه وسمائه ، صحوه وغيمه ، أنهاره وعيونه ، ربيعه ورياحينه ، رياضه وحدائقه ، أزهاره وثماره ؛ وأمدَّه حسٌّ مرهف . وحظ من اللغة موفور ، وذوق بالغ الدقة في اختيار الأوزان الرشيقة ، وانتقاء الألفاظ الحضارية المترفة الرقيقة ، وما أغزرَ فيضها في لغة القرآن ! فاحتوى الفن الرفيع من أقطاره ، وداوم بين الشكل والمضمون في أشعاره ، مواءمةً طبيعية غير متكلَّفة ، وكان في إلباسه معانيه وأحاسيسه أثوابها الموشّية الأنيقة أشبه بمن يصطفي لشرابه العذب الصافي أشفَّ الآنية وآنقها في العيون شحذاً لحاسّتي النظر والذوق . ولذلك كله كانت أشعاره في أوصاف الطبيعة مستطابة ، وسائغة مستمرأة ، تأنس إليها النفس ، وتعتلقها الحافظة : تنفذ إليها نفاذ السحر والجمال في الأرواح ، فإذا هي جزء من جملة أجزائها .

(١) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق م ٤٥/١٢٧ ـ ١٤٢ .
(٢) أبو بكر أحمد بن محمد بن مرار الضَّبّيّ الحلبي (ت ٣٣٤ هـ) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ومثل هذه الأشعار إذْ يحسن الإكثار من عرضها على النَّشأ الصاعد ، من الذين يتذوقون الأدب الرفيع ويسعون له ، يحسن كذلك الاحتفال بتحقيقها وضبطها كما تضبط الموازين المُتْرَصَة ، وتفسير ما يستدعي التفسير منها بإيجاز دقيق ، تقريباً لها من الأفهام ، ولا سيما أفهام أوساط المتعلمين ، وإبقاءً على صحة اللغة والأداء ، وإذاعةً للفُصُح ، وإشاعةً لسلامة البيان .

ولقد أصبت في هذه الطائفة التي تَسَنَّى للباحث الفاضل جمعها مما تهدَّى إليه من كتب الأدب هنات وانحرافات ، تسرَّبت إليها من جهلة النُّسَّاخ على تتابع الأيام ، وقلَّ عند المحققين نصيبها المفروض من التمحيص والتصحيح ... وإنه للزام على أمثالي أن يشاركوا في الاجتهاد بوضع مثل هذا التراث الأدبي الفنّي الأصيل في نصابه الحق ، ضماناً للغرض النبيل الذي دعا إلى جمعه ونشره ، ونحن أحرياء بأن نصونه ، ونتعاون على رعايته وتحقيق سلامته .

فأقول :

١ — في (ص ١٢٨) ورد قول الصنوبري في صفة ما ينشره « قويق » حوله من وشي الربيع المتجدد :

أما ترى البيعتين أفردتا بمفرد الأقحوان والمزوجْ

والبيعة ، بالكسر : كنيسة النصارى ، وقيل : كنيسة اليهود ، ولا موضع لها في هذا السياق الذي يصف المروج وما يلوّنها من ألوان العقيق والفيروزج ، والأشجار وما يزينها من الأقحوان والنوّار . فلا جرم أن اللفظ المناسب ها هنا إنما هو « النبعتين »(١) ، والنبعة واحدة النبع ، وهو كما قال أهل اللغة : شجر أصفر العود ، رزينهُ ، ثقيلهُ في اليد ، وإذا تقادم احمرَّ . وقد كانت العرب تتخذ منه القِسِيّ والسهام ، لشدّته ولدونته .

---

(١) نصبه على حكاية سياق البيت .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٢ — وفي (ص ١٢٨ أيضاً) قوله :

والثلج يهطل كالنثار ، فقم بنا نلهو بِرَبَّةِ كرمة لم تمزجِ

وقد ضبطت « ربّة » فيه بفتح الراء ، ومقتضى هذا أن الصنوبري يدعو صاحبه ، إذِ الثلج يهطل ، إلى اللهو معه بامرأة « صاحبة كرمة لم تمزج » ! وهـذا كلام فاسد ، وتعبير سقيم غير صحيح ولا مستقيم . والصحيح أن الصنوبري إنما يدعو صاحبه إلى اللهو بمعاقرة الشراب ، فذلك هو وحده المألوف من دعوات الشعراء في مثل هذه الحال ، وهـو يستدعي ضبط « رُبَّة » بضم الراء ، وقد استعملها الصنوبري مؤنثة ، والمعروف في اللغة « الرُّبّ » وهو الطِلاء الخاثر ، والطلاء هو ما طبخ من عصير العنب ، والخاثر الثخين الغليظ ، وكأن الصنوبري قاسه على الخمر والخمرة فأنثه .

٣ — وفي (ص ١٢٨ أيضاً) ورد هذا البيت على الصورة التي أثبتها :

فتناولت منه صادقة الريح تسمى صديقـــة الأرواح

والقانون العروضي يفرض فصل حاء « الريح » ، ووضعها في الشطر الثاني من البيت .

٤ — وفي (ص ١٣٤) :

شقيقه شقّ على الورد ما قد لبست من كثرة الصبغِ

وقد شددت ياء « شَقِيقة » ، فاختل وزن البيت .

٥ — وفي (ص ١٣٥) قول الصنوبريّ يصف « شقائق النعمان » ، ويقابل حمرة وجوهه بحمرة خدود البيض الحسان :

وجوه شقائق تبدو وتخفى على قضب تميس بهنّ ضَعفا
تراها كالعذارى مسبلات عليها من عميم النبت سُجفا
تنازعت الخدود الحُمْرُ حسناً فما إن أخطأت منهنّ حرفا

وتعليق (المجلة) على « عميم » في البيت الثاني بأنه : « في رواية أخرى (جميم) ، وهو النبت الكثير ، وهو الأرجح » .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ولي ها هنا ملاحظتان : أولاهما على تعليق المجلة ، والأخرى على البيت الثالث .

أ — إن ذهاب (المجلة) إلى ترجيح « جميم » على « عميم » ، لا بُدَّ له من قيام مرجّح من سياق بيت الشاعر . ولننظر في بادئ الأمر ما تفسيرهما عند أهل اللغة ، ثم نعود إلى سياق البيت .

فأما « العميم » ففي (لسان العرب) هو الطويل من النَّبات ، قال : « ومنه حديث الرؤيا ـ : « فأتينا على روضة مُعْتَمَّة » ، أي : وافية النبات ، طويلتُهُ . وكل ما اجتمع وكثر ، عميمٌ . واعتمَّ النبت : اكتهل ، ويقال للنبت ، إذا طال : قد اعتمَّ . وقالوا : نبت يعموم ، طويل » .

وأما « الجميم » فليس هو بالنبت الكثير كما قالت (المجلة) ، وإنما هو ـ كما في (لسان العرب) أيضاً ـ : « النبت الذي طال بعض الطول ولم يتمَّ » . قال : « ويقـــال : في الأرض جميم حسن النبت ، قد غطى الأرض ، ولم يتمّ بعدُ » .

وإذا عدنا بعد هذا إلى البيت ، ألفيناه يذكر العذارى وشعورهن الطوال المسبلات ، ويذكر السُّجُف .. فلا جرم أن « العميم » الذي وفى وطال واكتهل ، أولى بالسياق من « الجميم » الذي لم يتمَّ طوله ، ولم يكتهل .

ب — رواية صدر البيت الثالث ، وضبطه على هذا النحو : « تنازعت الخدودُ الحُمْرُ حسناً » تفصمه عما قبله وعما بعده ، وتجعل التنازع قائماً بين هذه الخدود وحدها ، لا بينها وبين غيرها . وهذا يجوز لو كان الشطر مستقلاً منقطعاً بنفسه غير ذي علاقة بما قبله وبما بعده . بَيْدَ أن الشاعر أراد غير هذا ، ووصل كلامه بعضه ببعض ، فذكر « وجوه الشقائق » ، ثم التمس لها شَبَهاً ، فوقع عليه في الخدود الحمر في وجوه البيض الحسان ، ورأى المطابقة بين طرفَي التشبيه تامة كل التمام ، وذلك إذ يقـــول : « فما إن أخطأت منهن حرفاً » ، أي : ما أخطأت وجوه الشقائق شيئاً من هذه الخدود الحمر في الحسن » .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وعلى هذا يكون الشعر : « فنازعتِ الخدودَ الحُمْرَ حسناً ... » ، أعني يكون الفعل « نازعت » لا « تنازعت » ، ويكون فاعله ضمير « وجوه شقائق » في البيت الأول ، وتنصب « الخدود » ونعتها على المفعولية .

و — وفي (ص ١٣٥) هذان البيتان :

أضعف قلبي النرجس المضعَفُ ولا عجب إن صبا مُدْنَفُ
كأنه بـــين رياحيننـــا عشاريٌّ ضَمَّها مُصْحَفُ

وتعليق (المجلة) على عجز البيت الثاني ، وهو قولها : « يلاحظ اضطراب الوزن في هذا الشطر ، ونرجح أن يكون المجز : عشاريٌّ (قد) ضَمَّها مصحف ، بزيادةِ (قد) . » .

وهذان البيتان ، من البحر التاسع (السريع) . وقد مُنِيَ عجزاهما — لا عجز البيت الثاني وحده — بالتحريف والزيادة والنقص ، فاختل وزنها ، واختل من الثاني وزنه ومعناه .

ويصح عجز البيت الأول بحذف الواو من « ولا » ، وإقامة « إذا » مقامَ « إنْ » . على أنني ألاحظ عليه ضعف علاقته المنوية بما قبله ، فلعل في البيت سقطاً ، أو هكذا يخيَّلُ إليَّ .

أما عجز البيت الثاني ، فإن « قد » الذي زادته (المجلة) ليستقيم وزنه ، لم يقم صلبه المُنْآد ، فظلّ وليس به قوة على اعتدال . وعلّة ذلك في « عشاريٌّ » و « ضمّها » . كلاهما أخل بوزنه وبمعناه . فما « المشاريُّ » في لغة العرب ؟ نجد دواوين اللغة تقول : إن الثوب إذا بلغ طوله عشر أذرع ، والغلام إذا بلغ عشر سنين ، فيقال : ثوب عشاريٌّ ، وغلام عشاريٌّ ، وتزاد للأنثى الهاء . وليس شيء من هذا بصالح في هذا السياق ، فضلاً عن إخلاله بالوزن . ويُلزمنا التحقيق أن نصير في أول الأمر إلى مادة هذا اللفظ (ع / ش / ر) نلتمس فيها اللفظ الذي يقوم به الوزن والمعنى . وفي هذه

شبكة الألوكة www.alukah.net هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة www.alukah.net

المادة لفظة « عشارة » ، وتفسيرها القطعة من كل شيء ، وهي تقيم الوزن ، ولكنها لا تقيم المعنى في سياق البيت .

وإذْ عجزت هذه المادة أن تمدّنا باللفظ الموائم ، فلا مفرّ لنا من الصيرورة إلى غيرها ، والتفكير في اللفظ الذي يقيم وزن البيت ومعناه . وقد انقدح في ذهني أنه « نُثَارة » ، ولست أراها شيئاً آخر ، وقد حرفها الناسخ هذا التحريف الشنيع ، فصيرها « عشاريّ » ، وما أكثر أمثال هذا التحريف في المخطوطات ! والنثارة هي ما ينثر من شيء ، كالدراهم والورد ونحوه من المشمومات الطيبة . والمعروف من عادة الناس أنهم يضعون طاقات الورد في ثنايا المصاحف الشريفة ، لتطيب رائحتها . وما أزال أذكر أننا كنا نفعل ذلك ، في طفولتنا أيام كنا نتعلم القراءة في « الكُتّاب » ، فنضمّن مصاحفنا الورد والريحان ، وقد نضمنها ريش الطواويس أيضاً ، وما كان أحد منا يحيد عن ذلك . فبهذا اللفظ ، وبجعل ضَمَّها : « ضَمِّنَها » ، يستقيم وزناً ومعنى ، وينسجم مع صاحبه . أما « قد » فلا مقامَ لها في هذا البيت . ولما كانت عادات المسلمين على اختلاف البقاع والأزمان تتشابه أوضاعها على نحوٍ مّا من وجوه التشابه ، فلا ريب أن هذه العادة من تضمين المصاحف نثارات الورد ، كانت معروفة على عهد الشاعر في بلاد الشام إبان القرن الرابع الهجري ، وربما سبقت هذا العهد ، فأوحت إليه هذا التشبيه :

كأنه بين رياحيننـــا نُثَارةٌ ضُمِّنَها مُصْحَفُ

ثم شرقت العادة وغربت ، ولم أتحقق من أين بدأ ظهورها ، وفي أي زمان كان ذلك .

٧ — وفي (ص ١٣٦) :

وإلى الرقّتَيْن أطوي قِرى البيـ ـد بطويّة القرا مذعانِ

وقد كتبت فيه ألف « قِرا » الأولى بهيأة الياء ، وضبط أولها بالكسر ، ذهاباً إلى معنى الضيافة والإحسان إلى الضيف ، وكتبت الثانية بالألف وأهمل

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ضبطهـــا . فما مناسبة قِرى الضيف في البيت ؟ وما معنى أنه يطوي إلى (الرَّقَتَيْن) ضيافةَ البيد ؟

وصواب اللفظة : « قَرا » بفتح أولها وبهيأة الألف في الموضعين ، ومعناه الظهر ، وقيل : وسط الظهر . ذلك أن الشاعر يخبر أنه يطوي ظهور البيد إلى (الرقتين) ـ وعنى الرَّقَّة والرافقة ـ بناقة مطوية الظهر ، مذعان لراكبها ، ومطواعة له سُرًى وتأويبا .

٨ ــ وفي (ص ١٣٦ أيضاً) :

ألبستها يد الربيع من الألوان بردأ كالأتحميّ اليماني

وفي كتابة البيت على هذا النحو خروج عن قانون العروض ، والصواب كتابته بنقل (وان) من (الألوان) إلى الشطر الثاني كما لا يخفى .

٩ ــ وفي (ص ١٣٦ أيضاً) :

يا خليليَّ هاتُما علّلاني عاطياني الصهباء لا تَدْرَآني

و (هاتُما) هذه ، كتبت مع ضبط تائها بالضم ، وليس في كلام العرب « هاتُما » ، إنما فيه « هاتيا » مثنّى « هاتِ » . وفي (لسان العرب) : « تقول : هاتِ يا رجل ، بكسر التاء ، أي : أعطني ، وللاثنين : هاتيا ، مثل : آتيا ، وللجمع : هاتُوا ، وللمرأة : هاتي ، بالياء ، وللمرأتين : هاتيا ، وللنساء : هاتِينَ ، مثل : عاطِينَ .. » .

١٠ ــ وفي (ص ١٣٧) :

سقّياني من كل لون من الراح على كل هـــذه الألوان

أخضر اللون كالزمرّد في أحمـر صافي الأديم كالأرجوان

وأقاحٍ كاللؤلؤِ الرطبِ قـــد فصّل بينَ العقيق بالمرجان

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وبهار مثل الدنانير محفوفٌ بزهر الخيري والحوذان

وصواب كتابتها على حسب قانون العروض :

سقّياني من كل لون من الرّا ح على كل هذه الألوان
أخضر اللون كالزمرد ، في أحـ ـمرَ صافي الأديم كالأرجوان
وأقاح كاللؤلؤ الرطب ، قد فُصـ ـلَ بين العقيق بالمرجان
وبهار مثل الدنانير ، محفو فٌ بزهر الخيريّ والحَوْذان

١١ — وفي (ص ١٣٧ أيضاً) :

وكأن النعمان حلّ عليها حُلَلاً من شقائق النعمانِ

وحلّ معناه نزل ، تقول : حللت القوم ، وحللت بهم ، وحللت عليهم ، وليس لهذا المعنى صلةٌ ما بسياق البيت إطلاقاً ، ولست أشك في أنه تحريف (حاكَ) ، أي : نسَجَ ، وهذا الفعل يستعمل في نسج الثوب حقيقة ، ويستعمل في غيره مجازاً ، فتقول : حاك النساج الثوب ، وحاك الشاعر شعره ، وحاك المطر الرياض . وبهذا يتجلى معنى البيت .

١٢ — وفي (ص ١٣٧ أيضاً) وردت قصيدة في التشوّق إلى (الرقتين) ، لم يُراعَ القانون العروضي في كتابة معظم أبياتها ، أكتفي بالإشارة إليها تجنباً للإطالة .

١٣ — وفي (ص ١٣٨) :

تتلاقى المياه : ماء من المُزْ ن ، دماءٌ تجري، وماءٌ مَعينُ

وصواب « دماءٌ » : « وماءٌ » ، وهو واضح .

١٤ — وفي (ص ١٣٨ أيضاً) :

بلد مشرق الأزاهر موعٍ وسحاب جمٌّ العزالي هتونُ

ومن الواضح أن صيغة اللفظة هي صيغة اسم المفعول من « أوعى » ، واستعمالاته

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

في اللغة هي : أوعى الحديثَ ، مثل : وعاه ؛ ومعناه : حفِظه وفهِمه وقبِله . وأوعى فلان جدع أنفه : استوعبه . وأوعى الزاد والمتاع في الوعاء : جعله فيه . ومنه : « والشر أخبث ما أوعيت من زادِ » . فهل في هذه الاستعمالات ومعانيها ما يعين على إقرار « موعٍ » هذه في هذا الموضع ؟ بشيء يسير من التأمل في البيت ، يهدينا سياقه إلى الكلمة اللائقة به ، ولا نراها إلا كلمة « بِدْع » أي بديع ، وبها ينسجم البيت ، ويشرق معناه إشراق البلد الموصوف فيه بأزاهره .

١٥ — وفي (ص ١٣٨ أيضاً) :

يضاحكها الفرات بكل فجٍّ فيضحك من نضار أو لُجَيْنِ

ويضحك من الشيء ، معناه : يسخر منه ، ولا موضع ها هنا للسخر ، وليس مراداً للشاعر ، وإنما مراده معنى الإبداء مجازاً ، وهو يستلزم حرف الجر (عن) ، وقد وردت صحيحة في : (مسالك الأبصار) ، و (معجم البلدان) و (الديارات) . قال الزمخشري في (أساس البلاغة) : « ومن المجاز : ضحكت الأرض عن النبات ، وضحكت الرياض عن الزهر . » . ومنه بيت الصنوبري هذا ، وبيت آخر له وهو قوله :

وبنفسي المرج الذي ابتسمت جَنَبَاته عن عسجد ولُجَيْنِ

وهو في (كتاب الديارات) ، لكن زيدت فيه : [لنا] بعد « ابتسمت » ، فاختلَّ وزنه .

١٦ — وفي (ص ١٣٩) :

تُرانا واصليك كما عهدنا وصالاً لا تنغّصه بِبَيْنِ

وقد ضبطت فيه تاء « ترانا » بالضم ، والصواب فتحها كما في (مسالك الأبصار) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وجعلت فيه نون المتكلم ومن معه في : « ننغّصه » تاءً ، والتنغيص أمر لا يمكن إسناده إلى السفن المذكورة في بيت سابق . وقد ورد ذلك على الصحة في (مسالك الأبصار) و (معجم البلدان) ... وفي (كتاب الديارات) أيضاً :

١٧ — وفي (ص ١٣٩ أيضاً) :

وكان اللهو عندي كابن أمي فصرنا بعد ذاك كعَلّتَيْنِ

وتعليق (المجلة) عليه : « في (الديارات) : لعلتين ، ونرجح أن يكون العجز : فصرنا بعد ذلك عَلّتَين . » .

وهو إعادة لما سبق لها أن أوردته من قبل . وقد أوضحت رأيي فيه بما لا مزيد عليه (١) .

١٨ — وفي (ص ١٣٩ أيضاً) :

وكم ثنايا تَسبي بنكهتها وكم عيونٌ تُصبي بلحظتها

كذا برفع « عيون » بعد « كم الخبرية » ، والمشهور في تمييزها الجر ، وقد يجرّ بمن نحو قوله تعالى : ﴿ كم من فئةٍ قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله ﴾ . وهي لغة جميع العرب ، ما عدا « تميماً » ، فقد روي أنها ترفع ما بعدها ، وذكر الرفع والنصب أيضاً في قول (الفرزدق) ، وهو تميمي :

كم عمة لك ، يا (جريرُ) وخالة فدعاء ، قد حلبت عليَّ عِشاري

وللنحاة في تخريج ذلك تكلف شديد ، وليس مثل هذا بناقض للمشهور من لغة العرب ، وباب الشذوذ باب واسع ، لو ولجناه لأخللنا بالمقاييس العامّة .

١٩ — وفي (ص ١٤٠) :

والسحب ينظمن فوقها سُبُحاً نظامَ معنيَّة بسبحتها

فواقعٌ عُدّت بياذق شطرنج صفوفاً وَسْطَ رقعتها

(١) مجلة مجمع اللغة العربية م ٤٠ ص ٥٨ — ٥٩ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقد ذكر الناقل الفاضل أن هذين البيتين من (الجماهر في معرفة الجواهر) للبيروني ، وأن البيت الثاني « كان فيه اضطراب شديد فصُلّح . »

وقالت (المجلة) معلقة عليه : « يلاحظ اختلال الوزن والمعنى في البيت ، ولم نتوفق إلى تصحيحها (كذا) فيما لدينا من مراجع . »

وأقول : إن رواية البيت في (الجماهر)[1] هي :

فواقع قد غدت بياذق الشطرنـ ج صفوفاً في وسطِ رقعتها

وهو من البحر العاشر (المنسرح) ، وقد اضطرب اضطراباً شديداً في هذا الأصل المنقول منه ، وفي تصحيحه ، وليس شيء منها خيراً من الآخر . ويستقيم لنا إذا صنعناه على هذا النحو ، ولا أحسب (الصنوبري) عداه :

فواقع قد عدت بيـاذق شط رنج صفوفاً بوَسْط رقعتهـا

هذا من حيث وزنُهُ . أما لغته ، فـ « فواقع » ليست إلا تحريفـاً لِـ « فقاقع » جمع فُقّاعة ، وهي ـ كما يقول أهل اللغة ـ هنات كأمثال القوارير الصغار مستديرة ، تتفقّع على الماء أو الشرابِ عند مزجه بالماء . وأصلها « فقاقيع » كما جاءت في بيت عديّ بن زيد ، يصف الخمـر صُفّيقت بالماء :

وطفـا فوقها فقاقيع كاليا قوت ، حُمرٌ ، يثيرها التصفيق

وحذف الياء من مثلها أجازه قوم من النحاة ، واعتدّه آخرون ضرورة . قال (الأشموني) في شرح (ألفية ابن مالك) ـ ٤/٩٨ ـ « أجاز (الكوفيون) زيادة الياء في مُماثل « مَفاعِل » ، وحذفها من مُماثل « مَفاعِيل » ، فيجيزون في جعافر : جعافِرَ ، وفي عصافير : عصافرَ . وهذا عندهم جائز في الكلام ، وجعلوا من الأول : ﴿ ولو ألقى معاذيره ﴾ ، ومن الثاني : ﴿ وعنده مَفاتِحُ الغيب ﴾ ، ووافقهم في (التسهيل) على جواز الأمرين ،

(١) ص ١٨٦ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

واستثنى « فواعل » فلا يقال فيـــه « فواعيل » إلا شذوذاً ، كقوله : « سوابيغ بيضٌ لا يخرّقها النبل » . ومذهب (البصريين) : أن زيادة الياء في مثل « مَفاعل » ، وحذفها في مثل « مفاعل » لا يجوز إلا للضرورة . » .

وعلى حد فعل (الصنوبريّ) بياء « فقاقيع » جاءت « المراجن » في موضع « المراجين » في شعرٍ لِـ (ابن الجباس) يصف الموز :

كأنما الموز في عراجنـه وقد بدا يانعاً على ثمرِهْ
فروعُ شعر برأس غانية عُقّيص من بعد ضَمّ منتشرِهْ (١)

فحذف ياء « المراجين » ، وهي العثاكيل ، كما حذف (الصنوبري) ياء « الفقاقيع » .

وبقي في بيته الفعل « عَدَت » ، فقد يجوز أن تقرأ « غدت » ، ولعلها هي الأصل . وبهذا التصحيح يكون البيت قد استقام وزنه ومعناه ، وانتفى عنه الاضطراب والغموض .

٢٠ — وفي (ص ١٤١) :

أما الرياض فقد بدت ألوانها صاغت فنون حليلها ألوانها

و « ألوانها » الثانية ، صوابها : « أفنانها » كما في الأصل المنقول منه ، وهو كتاب (الديارات) .

٢١ — وفي (ص ١٤١ أيضاً) :

هذا خُزاماها وذا قيصومها هذا شقائقها وذا حُوذانها

وقد ضبط فيه حاء « حوذانها » بالضم ، وصوابه الفتح كما ضبط في (الديارات) . وقد تقدم هذا اللفظ في (ص ١٣٧) في بيت آخر للصنوبري منقول من (الديارات) أيضاً ، ولم يضبطه الناقل الفاضل ، وضبطه محقق

(١) ضم : في الأصل المروي عنه « ختم » ،وليست بشيء .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(الديارات) ولكن بضم حائه في هذه المرة ، فجانب الصواب هنا من حيث أصاب هناك ! وكذلك ضبطه محقق (مسالك الأبصار) ١/٢٦٧ فأخطأ .

٢٢ — وفي (ص ١٤١ أيضاً) :

حِثَّ الكؤوس فإن هذا وقتها وصِلْ الرياض فإنّ ذا إبّانُها

وصواب « حِثَّ » : « حُثَّ » ، بضم الحاء ، لأن مضارعه « يَحُثُّ » بضم الحاء . وحق تحريك لام « صِلْ » الكسر ، لالتقائه بساكن . وكلاهما من البديهيات ، ولكن التحقيق الدقيق لا يأذن بإغفال التنبيه على مثلها .

أما بعد ، فإن العصمة والكمال لله تعالى وحده . وهذه الملاحظ ، هي على مصادر منقولات الباحث الفاضل ، في الغالب ، وليست عليه . أردت بها التسديد ، لا العيب والتهجين ، ولا التعالي والتعليم . وقد اجتهدت فيها برأيي ، وما كل اجتهاد ببالغٍ غايته من السداد . فمن أصاب فيها حقاً أخذه ، ومن أصاب فيها خلافه فرضت عليه أمانة العلم التي في عنقه الجهرَ بما يراه بدليله إن شاء الله .

(بغداد) محمد بهجة الأثري

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net